OPEN ACCESS
Scholars International Journal of Linguistics and Literature
Abbreviated Key Title: Sch Int J Linguist Lit
ISSN 2616-8677 (Print) |ISSN 2617-3468 (Online)
Scholars Middle East Publishers, Dubai, United Arab Emirates
Journal homepage: https://saudijournals.com

Review Article

أحمد قنديل (1332هـ/1913م – 1399هـ/1979م) من أبرز الشعراء المخضرمين السعوديين

البروفيسور الحافظ سيد بديع الدين الصابري[1]*

[1]رئيس قسم اللغة العربية وآدابها, بالجامعة العثمانية ، حيدرآباد – الهند

DOI: 10.36348/sijll.2023.v06i02.003 | **Received:** 26.12.2022 | **Accepted:** 01.02.2023 | **Published:** 04.02.2023

***Corresponding author:** البروفيسور الحافظ سيد بديع الدين الصابري
رئيس قسم اللغة العربية وآدابها, بالجامعة العثمانية ، حيدرآباد – الهندHead, Department of Arabic
Osmania University Hyderabad, T.S. India

Copyright © 2023 The Author(s): This is an open-access article distributed under the terms of the Creative Commons Attribution **4.0 International License (CC BY-NC 4.0)** which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium for non-commercial use provided the original author and source are credited.

إن شعر المملكة العربية السعودية مرّ بثلاثة أطوار أو أجيال وكانت لكل جيل أو لكل طور ظواهر فكرية وأدبية، وظهر نتاج الجيل الأول بحوالي عام ١٣٣٧هـ في أواخر عهد الملك حسين.

وإن الجيل الثاني هو الذي شاهد عهد النهضة في المملكة وقد خرجت البلاد عام ١٣٤٨هـ من آخر قضايا الشغب البدوي وانصرف الملك عبد العزيز إلى إعمار البلاد.

والجيل الثالث محتوٍ على الشعراء الذين ولدوا قبل وأثناء أعوام النكبة الأولي لفلسطين سنة ١٣٦٨هـ (١٩٤٩م) فشهد صِباهم قرع طبول الحرب الداميةً.

الأستاذ الأديب أحمد قنديل يتعلق بالجيل الثاني وأكثر هذا الجيل شعراء مخضرمون، وهم الذين عاشوا في فترتي التخلف والنهضة، فعهدهم شهد اهتمام الدولة بالتعليم وانتقال الدولة من عهد التخلف إلى عهد التقدّم لتحسّن اقتصاديات البلاد بعد أن نبعت آبار النفط، فتطوّر الأدب من خلال الحفلات والمهرجانات والنوادي في المدارس والدوائر و القاعات والبيوت.

وهذا الجيل جيل وسط اتخذ أفراده مكانة لهم بين القديم والجديد معتمدين على أدب المصريين والسوريين، وقال عبد الله بن إدريس (المولود في ١٣٤٩هـ) في البحث عن شعر هذا الجيل في المملكة خلال النصف الثاني من القرن الرابع عشر أنهم "جيل القاعدة العريضة الشعرية الحديثة " أو هم كما يقول محمود عارف (ولد عام ١٣٢٩هـ) "جيل التطلّع والنضج" الذي بلغ بهم الشعرُ قمته.(١)

إن أحمد قنديل الذي اخترته للدراسة عن شعره يعتبر من فحول الشعراء المخضرمين وأبرزهم فملأ قنديل المملكة بكثير من أغانيه وأناشيده الرائعة وتظهر ريادته في مجال الشعر السعودي من هذه الحقيقة أن عبد السلام الساسي صدركتابا لثلاثة شعراء فقط أسماهم " العباقرة الخالدين" وأسمي أدبهم :"أدب الزعامة الخالد الممتاز" وهم : محمد حسن عواد (ولد ١٣٣٤هـ) وحمزة شحاتة (ولد عام ١٣٢٨هـ) وأحمد قنديل (١٣٣٢هـ - ١٣٩٩هـ) واسم الكتاب الذي أصدره عبد السلام الساسي عنهم في سنة ١٣٦٨هـ هو "الشعراء الثلاثة في الحجاز".

حياة الشاعر: ولد احمد قنديل في مدينة جدّة سنة ١٣٣٢هـ/١٩١٣م ونشأ بها ودرس في مدرسة الفلاح بجدّة وعيّن فيها أستاذا عند تخرجه منها وكان قنديل منذ صباه ميّالا للأدب الذي عكف على دراسة أمّهات الكتب ودواوين الشعر كما اطلع على أعمال كبار أدباء اللغات الأوربية وفلاسفتها أمثال شكسبير وبايرون، وجوته وموليير ونيتشة.

وبعد أن يعمل قنديل في مدرسة الفلاح مدرّسا لعدة أعوام انتقل من جدّة إلى مكة المكرّمة وتولّى فيها رئاسة تحرير جريدة "صوت الحجاز" إلى فترة من الزمن ثمّ تقلّب في عدة مناصب من الوظائف الحكومية بوزارة المالية إلى أن أصبح مديرا عاما للحج لمدة

ثلاثة عشر عاما ثمّ تقاعد وتفرّغ للأدب والإنتاج الأدبي الفنّي من خلال أعماله الذاتية ومن خلال مؤسّسة أنشأها للإنتاج الفنّي الأدبي بجدّة وكانت تمدّ الإذاعتين المسموعة والمرئيّة وهي من المؤسّسات الرائدة في مجال الأدب في المملكة العربية السعودية.[٢]

وكان أحمد قنديل من كبار الكتّاب البارعين، وبعد أن اتسعت إذاعة جدّة في برامجها كان من أوائل من كتبوا لها التمثيلات الشعبيّة والبرامج الثابتة مثل برنامج "زقزوق وظريفة " الذي لم يزل يكتبه سنوات طويلة.

وكان لقنديل كتب مطبوعة كثيرة ومنها "كما رأيتها" وهو يوميّات عن زيارته لمصر، وكتابه المهم "الجبل الذي صار سهلا" قد قدّم فيه ما يُشبه السيرة الذاتية بدون ارتباط بتسلسل زمني في أسلوب رشيق وكان اخر ما سجّله عن حياته كما كتب يقول عن كتاب هذا: بأنه أوراق خريف تتحات... وتتساقط من شجرة عمر مكتوب" وقال محمد عمر توفيق في مقدمة كتابه عن صديقه أحمد قنديل: إنه كاتب بلدي بكل معني الإخلاص التلقائي للبلد، لغة وتاريخيّا وروحًا وفكاهة يغلب عليها – وعلى الأدب والفن عموما فيه – مزاج " الكاريكاتير" وهو مزاج يسخر ويضحك ويستعرض المفارقات.[٣]

وصفه عمر توفيق (ولد عام ١٣٣٧هـ) بالكاتب البلدي بمعني أنه عاشق لبلاده يخفق قلبه بحبّه لها، ويلهج لسانه بذكرها وأحاديث ذكرياتها التي خلدها في شعره ونثره وفي تمثيلاته الإذاعية.

ونظم أحمد قنديل الشعر في سنّ مبكرة وظلّ ينظمه فصيحًا، وبلهجة مدن الحجاز الدارجة إلى أن أدركته الوفاة في سنة ١٣٩٩هـ١٩٧٩م.

شعره: كان أحمد قنديل شاعرا متعدّد الجوانب من الشعراء المخضرمين فنظم الشعر الفصيح على النظام القديم وأجاد فيه ونظم شعرا حديثا متأثرا بمذاهب شعرية في البلاد العربية. وكان سبب تسميته بقنديل أنه كان يقدّم يوميّا صورا شعرية في اللهجة الدارجة بعنوان " قناديل" تنشرها الصحف وهي مصدر من مصادر التعرّف على حياة الناس وأساليب عيشهم وتعاملهم وتفكيرهم في مكة وجدّة.

وكان يسعي منذ شبابه إلى الخروج بشعره من إطار الإقليمية إلى أفاق الانتشار الواسع، ففي سنة ١٣٦٥هـ /١٩٤٥م اشترك في مسابقة نظمتها إذاعة لندن بين الشعراء ففاز على المستويَيْن المحلي، والعربي العام، وكانت مشاركته في تلك المسابقة بقصيدة عنوانها " البلبل" فيها تجديد في أسلوب النظم التقليدي وهي نابعة من حسّه الصادق وتجربته الشعورية فقال يخاطب البلبل:

الروض ما معناه يا بلبل إن لم تغرّد فيه أو تمرح؟
والزهر من يسكب في ثغره سحر الهوى إن أنت لم تصدح؟
والجدول الرقراق ما حاله إن غبت عنه جانبا تنتحي؟
والفجر من يلقاه إن لم تطر في ضوئه الساجي، ولم تسبح؟
والوردة الحسناء من ذا الذي يثير فيها غيرة المستحي؟

إن لم تـغـازلها، تـبـثّ الهـوى
للروض بساما، وتشكو الجوى
للـفـجـر والـزهرة، الـجـدول

يا باعث الفتنة زخارة بالحسن مطبوعًا على ما به
وناثر الفرحة رفرافة في لحنه المسكوب من قلبه

إلى آخر القصيدة الطويلة التي صاغها على شكل مقاطع مختلفة الرويّ متحدة في الموضوع والفكرة [٤].
وكان قنديل من الشعراء الذين نادوا برفع شان الوطن وناصروا قضايا الشعوب المستضعفة ودعوا إلى السلام وهتفوا للحرية فقال يطالب بالثورة على الضعف:[٥]

عاش القوي مقدما وممنّعا يمحو الضعيف ويستبدّ كما يريد
وعليه إكليل السيادة صاغه بيد الدهاء وساعد البأس الشديد

وأحمد قنديل صوفيّ بحبّ بلاده والبلاد عنده في مقام المهجة والدم والهوى فيقول بالعاطفة الحارّة مع المتانة في الأسلوب عن حبّه لها:[٦]

بلادي بلادي لاعدمتُك موطنا حبيبا إلى قلبي ونفسي وخاطري
ذكرتك والذكرى من الحبّ روحه و من خلجات النفس وحي الضمائر
وذكرك في الأحياء همسة واجد و ترديد إيماء وقولة عابر
ولكنه في مهجتي و دمي هوى سَرَى كحيا تي فيك مسري الخواطر

وأهم صبغة اصطبغ بها شعر أحمد قنديل هي الشعر الوطني والقومي وهو من أوائل من وسّع الشعر القومي، لأن الشاعر شبّ على فصول المأساة الفلسطينية التي ظهرت بعد سقوط فلسطين بأيدي اليهود.

وإن النكسة التي حدثت في الخامس من حزيران من عام ١٩٦٧م وبعده بسبب العدوان الإسرائيلي قد تناول موضوعَها أكثر الشعراء وكتب فيها كل أديب وشاعر ولكنّ هناك شاعرين خصّص كل منهما ديوانا شعريا تامّا لها، أولهما أحمد قنديل وديوانه " نار" وثانيهما سعد البوادري و ديوانه "صفّارة الانذار" إن ديوان قنديل " نار" كان أسرع إلى الظهور من "صفارة الانذار" مع أنه ملئ برمزيّة موغلة في الخفاء فقال في مقدمة ديوانه تحت عنوان " الوتر المقطوع " يذكر فيها : أقسى ما يعانيه الفرد العربي اليوم أنه يمشي في نهاره على اللظى وأنه يبيت ليله الطويل مع الحزن اللاذع جمرًا فوق جمر وألحان القنديل في هذا الديوان رهيبة ومحمومة، وهو حائر لا يعرف ماذا يريد أن يقول أو يعرف ولكنه لا يستطيع أن يقول فقوله من قصيدته:[٧]

" ماذا أقولُ؟ وما تقول؟ والليل أقسم لن يزول.
وأنا وأنت بجوفه. وكأنّنا فيه بقايا من طلول
عاثت بها الأشباح ساخرة الهوي، سكرى معربدة تحول كما تحول
داست على الصفحات من تاريخنا إلّا فصول
أين الصفوف الزاحفات على صدى تلك الطبول
ويل الحشود إذا غدت في سيرها الوافي فلول
تاهتْ على رمل السفوح، تناثرت فتبعثرت، والبدر يجنح للأفول
ويلي! وويلك خلفها أملا يطول، وقد يحول"

هذا من أجرإ المحاولات التجديديّة التي اختارها القنديل في ديوانه الأخير" نار" كما كان يقصّر السطر مرّة على تفعيلة وتارة على أكثر من واحدة ولكنه ظلّ مخلصا للموسيقى والجرس و المنغوم في السطر الشعري.

يعتبر الثلاثة محمد حسن الفقي والقنديل وحسن عبد الله القرشي من الشعراء الكبار المطبوعين ولكنهم في التجديد يتابعون ما رُسِم من قبل كما يتّضح ذلك من بيان الدكتور عبد الله الحامد علي الحامد فيقول:
"محمد حسن فقي وأحمد قنديل شاعران فحلان جمعا بين طول النفس وعمق الفكرة وتفتيق المعاني وكان القنديل يمازج بين الواقعيّة والرومنسيّة أما الفقي فكان متشائما إلى حد بعيد وحسن القرشي الذي اكتملت لديه الصناعة والديباجة بصورة لم تحدث قبل عند أي شاعر آخر..وهؤلاء كلهم لا يأتون بشيء جديد يضاف إلى مدرسة أبولو والديوان و نحوهما من المدارس"[٨]

وهذا الرأي لا ينطبق على هؤلاء الشعراء فقط بل نستطيع أن نقول ذلك عن معظم الشعراء السعوديين كما ردّد الدكتور بكري أمين في كتابة "الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية" هذه الفكرة بتعديل العبارة يقول :"كثير من الشعر السعودي يبدو كأنّه لشاعر مصري أو سوري أو لبناني، وما ذلك إلا من شدة التقمّص و التأثّر والذوبان"[٩]

إن سبب فقدان أصالتهم غالبا في مجال الشعر أن المملكة العربية السعودية تتأخّرت عن أخواتها العربيات زمانا طويلا في نهضة الأدب العربي، ولا ريب أن صناعة الشعر وسائر فنون القول يُعوزها أوّل الأمر الاقتداءُ بالنوابغ والفحول واحتذاء نماذجهم والنسج على منو الهم.

لا يستطيع أصحاب الأدب السعودي أن ينسوا من أعمال قنديل الجليلة ما قدّم للمؤتمر الأول للأدباء السعوديّين الذي عقدته جامعة الملك عبد العزيز في مكة المكرمة في مطلع شهر ربيع الأول ١٣٩٤هـ /١٩٧٤م وكان الأستاذ أحمد قنديل من أوائل من استجابوا لتلك الدعوة فقد قدم له عملا شعريّا كبيرا أسماه " ملحمة الزهراء "التي طبعت ونشرت في المجلد الأول من كتاب "بحوث المؤتمر الأول للأدباء السعوديين"[١٠] وهو عمل شعري طويل محتو على سبعة أقسام أرّخ فيه للمملكة يسجّل أهم الأحداث التاريخية القديمة والحديثة والمعاصرة بعقل مفكر وذاكرة تسجيلية أو روح شاعر فنّان.

القسم السادس من "ملحمة الزهراء" الذي خصّصه لتسجيل أحداث الهجرة النبويّة الشريفة قال فيه تحت عنوان "من هنا يبدأ " فأبياته الأولي فيما يلي:[١١]

ها هنا.. من هنا سيبدأ يوم — صاغ تاريخُه الحياة.. ابتداها
فاتل آياتها الحسان توالت — في سجل الخلود أنّي تلاها
إنها الهجرة الكبيرة باللّـ — ـه فبالله عزمها ومضاها
واذكر الغار والرفيق به الـ — ـرحلة طابت في سيرها مسراها

وختم أحمد قنديل "ملحمة الزهراء" في قسمها السابع بمقطع بعنوان: "الجزيرة والزهراء" فقال:

أيها الشعر والجزيرة مرقـ ـاك ومهواك في طويل مداها
حسبك اليوم: إن بلغت فبلغـ ـت بصوت من ابنها أبناها
هذه نفحة الجزيرة منها وإليـ ـها الزهراء أو زهراها

والتزم أحمد قنديل في ذلك العمل الطويل كله بقافية واحدة و رويّ واحد، و في هذا ما يؤكّدعلى سعة ثروته اللغوية و نفسه الطويل.
و من مميزاته الشعرية الروح القصصيّة التي تجعل شعره يحقق الوحدة العضويّة أكثر من أيّ شاعر آخر ويوجد في شعره اندفاع وانسياب كما قال الدكتور عبدالله الحامد علي الحامد يصوّرتصويرا صادقا لشعر القنديل :
"إنه بقدرته البيانيّة الفائقة وأسلوبه السلس الرقيق يُخفي على القارئ أثر الرحلة الطويلة مع القصيدة، فتمرّ به المسافة وكأنّه في طيّارة تقطع الأميال في دقائق معدودة دون أن يحسّ بها الراكب وإن كان القائد أكثر إحساسا بها، وهذه القدرات يضاف إليها خيال الشاعر وروحه البرناسية القديرة على تحريك المشاهد والأحداث مما يضعه أيضا في عداد الوصافين البارعين" [١٢]

كان أحمد قنديل كثير الشعر مع الإجادة فيه ومن دواوينيه المطبوعة : "أغاريد" و " أصداء " و " أبراج" و"نار" كلها في اللغة الفصيحة و" المركاز" وهو في اللغة الشعبيّة وستظلّ آثار أحمد قنديل الشعريّة والنثريّة مصدرا من أهم مصادر تاريخ الحياة الصافية في مدن الحجاز وفي آثاره صورة حيّة للناس وطرق حياتهم ومعاشهم وتعاملهم وفيها التسليّة والأدب والثقافة.

المصادر :

1. في الشعر المعاصر في المملكة العربية السعوديّة للدكتور عبد الله الحامد علي الحامد: ص ١٨.
2. الموجز في تاريخ الأدب العربي السعودي للدكتور عمر الطيب الساسي: ص٩٣.
3. نفس المصدر ص ٩٤.
4. الشعراء الثلاثة في الحجاز لعبد السّلام الساسي: ص ٦٦،٦٧.
5. الحركة الأدبيّة في المملكة العربية السعوديّة للدكتور شيخ بكري أمين: ص ٤١٣.
6. الحركة الأدبية، ص : ٣٣٠.
7. نفس المصدر، ص : ٣٤٢،٣43.
8. في الشعر المعاصر في المملكة العربية السعوديّة : ص ٩١.
9. الحركة الأدبيّة في المملكة العربيّة السعوديّة : ص٣١٩.
10. بحوث المؤتمر للأدباء السعوديّين ج ١ ص ٨١ – ٢١٥.
11. نفس المصدر، ص: ١٧١.
12. في الشعر المعاصر في المملكة العربيّة السعوديّة: ص ١٧٧.

© 2023 | Published by Scholars Middle East Publishers, Dubai, United Arab Emirates